دراسات نثرية بسم الله الرحمن الرحيم

الخطابة

فن نثري عربي قديم نشأ مع نشوء النثر العربي القديم في العصر الجاهلي ،ونقصد بها فن مخاطبة الجماهير وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم بكلام بليغ وجيز بغية الاقناع والامتاع والاستمالة.

الخطابة في العصر الجاهلي

أزدهرت الخطابة عند العرب في الجاهلية لإرتباطها بواقعهم ومصيرهم ،وكثيراً ما كانت تنشب بين هذه القبائل الحروب والنزاعات ،فكانت الخطابة سلاحهم الذي يصحبهم في حربهم وسلمهم ،فقد كانت الخطابة عندهم صفة فطرية في طبيعتهم ،وكانوا يستخدمون الخطابة في مجادلاتهم وحواراتهم الشديدة حتى في حروبهم ،

كما كانت الخطابة أسلوبهم الذي يستخدمونه للدفاع عن كرامتهم ،وقد أعتنوا بالخطابة بشكل كبير فمنهم من قال أن مكانة الخطابة أعلى من مكانة الشعر ومنهم من قال العكس، وهذه مسألة جدلية ،ولعل أزدهار الخطابة في العصر الجاهلي مرده الى :

١-طبيعة الصحراء والحياة الفروسية.

٢-وجود التعصب للقبيلة العربية والافتخار بالقوم والنفس.

٣-قلة التدوين ،الامر الذي دفع هذا النوع من الفن الذي يتميز بالتعبير الشفوي الى الازدها.

٤-وجود الاسواق في الجاهلية التي كانت تتجمع العرب لابراز مواهبهم من خطابة وغيرها.

ومن أكثر الخطب التي أنتشرت في العصر الجاهلي : خطب الإصلاح بين القبائل .وخطب التحريض على القتال. وخطب المشورة. وخطب الوعظ .وخطب الزواج .والتهنئة. والرثاء.

أشهر خطباء الجاهلية :قس بن ساعدة ،فهو أول من قال في خطبته :أما بعد، وتسمى (فصل الخطاب).قيس بن خارجة بن سنانة خطيب داحس والغبراء .عتبة بن أبيربيعة. وكعب بن لؤي غيرهم.

مميزات الخطبة الجاهلية

١-وجود العبارات القصيرة. ٢- البدء بالموضوع بشكل مباشر.٣- – بين الفطرة والصنعة. ٤- التعميم والإطلاق. ٥- التنوع بالموضوعات. ٦- التكرار. ٧-فصاحة الألفاظ وخشونتها. ٨- وجود الأمثال والحكم في الخطبة. ٩-استخدام السجع.

ألخطابة في العصر الاسلامي

أزدهرت الخطابة في عصر صدر الاسلام لحاجة الإسلام اليها بوصفها أداة مهمة وسلاحاً قوياً أستعان بها الإسلام في نشر مبادئه وتعاليمه ،وأولى الإسلام الخطابة أهمية كبيرة حيث أستخدمها الرسول ((صلى الله عليه وسلم))في دعوته الى الإسلام ،وفي مختلف المناسبات الدينية. وبمجيء الإسلام هذّب مبدأ الخطابة عما كانت عليه في العصر الجاهلي من أسلوب وأصبحت تدعو الى التوحيد والمحبة وأصبح للخطبة تقليد ومنهج ،فهي تبدأ بحمد الله والسلام على رسوله ،و أصبحت الخطابة جزءاً من العبادة فهناك خطبة الجمعة والعيدين ...الخ.

وقد وصلت الخطابة في ظل الإسلام الى أسمى مكانة وأعلى طبقات البلاغة ،ومن العوامل التي أدت الى ارتقاء الخطابة في العصر الاسلامي هو تضمينها للقران الكريم من وسنّة النبي ((صلى الله عليه وسلم)) وتأثر الخطباء ببلاغة وفصاحة القران الكريم والحديث النبوي الشريف.

خصائص الخطابة في العصر الاسلامي

١-بروز الطّابع الدّينيّ، حيث استخدم الخطباء المسلمون ألفاظ القرآن الكريم واستدلّوا بآياته، وقلّلوا من جودة الخطبة الخالية من القرآن الكريم وقيمتها، كما أطلقوا على الخطبة الخالية من القرآن اسم الشّوهاء.

٢-التقليل من استخدام السّجع الذي كان يبرز بشكل كبير في خطب الجاهليّة، وخاصّةً سجع الكهّان الذي كان يدّعي صاحبه التنبّؤ بالمستقبل ومعرفة الغيب، باستخدام ألفاظ غامضة وغريبة وذات جرس إيحائي.

٣-وحدة الموضوع والفكر، وكانت الخطب تفتقر إلى هذه الخاصّيّة قبل الدعوة الإسلامية.

٤-وضوح الأفكار وجزالتها وسلاستها، كما أنّ الألفاظ كانت فصيحة، واتّسمت الفقرات بقصرها وتناسق فواصلها.

٥-اندثار المنافرات والمفاخرات القديمة؛ وذلك لأنّ الإسلام حاول إمالة هذه الأفكار بالدّعوة إلى الوحدة.

٦-الإيجاز مع البلاغة؛ فقد حثّ الرسول عليه الصّلاة والسّلام على تقصير خطبة الجمعة، وحثّ أبو بكر الصّديق أحد قادته على تقصير خطبه لجنوده حتى لا ينسوا كلامه ومواعظه لهم، ولكنّ هذا لا يعني خلوّ العصر الإسلاميّ من الخطب الطويلة

وخاصّةً في الأمور السياسية، واعتمد طول الخطبة أو قصرها على زمان الخطبة وموضوعها.

٧-إيراد بعض الأمثال والحكم وأبيات الشّعر، وذلك جرياً على فطرتهم وطَبعهم في تَنسيق الكلام وترويقه.

٨- البدء بالبسملة وحمد الله والصّلاة على رسول الله، ثمّ كلمة أمّا بعد، ثمّ انتقال الخطيب إلى الموضوع الرئيسي من الخطبة، وإنهاء خطبته بالسلام، ونادراً ما نجد خطبةً تخلو من هذه البداية، حيث إنّ الخطبة التي تخلو من هذه البداية تُسمّى البتراء.

أنواع الخطابة في الإسلام:

١-الخطبة الدينية: هي الخطب التي تخص رجال الدين، ومن الأمثلة عليها خطب الأعياد.

٢-الخطب القضائية: وتشتمل على المرافعات، والاتهامات والادعاءات، وغالباً ما يكون مصدرها المحامين.

٣-الخطب العسكرية: وغالباً ما يلقيها رؤساء الأنظمة العسكرية وقادة الجيوش.

٤- الخطب الجدلية: وهي ما تشتمل على التفاخر والتنافر.

٥-الخطب السياسية: وهي الخطب التي يلقيها القادة ورجال السياسة.

٦- الخطب العلمية: وهي ما تشتمل على الأمور العلمية والمناظرات.

أشهر الخطباء في العصر الاسلامي هو النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)

ومن نماذج الخطب في العصر الاسلامي خطبة أبي طالب في زواج النبي -صلى الله عليه وسلم- بخديجة -رضي الله عنها-

الحمدُ للهِ الذي جعلنا مِن زَرْعِ إبراهيمَ، وذريةِ إسماعيل، وجعل لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا محجوجًا، وجعلنا الحكامَ على الناسِ. ثم إنَّ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنَ أخي مَن لا يُوَازَنُ به فتًى مِن قريشٍ إلا رَجَحَ عليه بَرًّا، وفضلاً، وكرمًا، وعقلاً، ومجدًا، ونبلاً. وإنْ كان في المالِ قُلٌّ؛ فإنما المالُ ظِلٌّ زائلٌ، وعاريةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ. وله في خديجةَ بنتِ خويلدٍ رغبةٌ، ولها فيه مِثْلُ ذلك، وما أحببتم مِن الصَّداقِ فعليَّ.

أركان الخطابة :تشتمل الخطابة على أركان ثلاثة وهي:

أ-الخطيب: وهو الذي يتحدث إلى الناس ويحاول إقناعهم برأيه بشتى الوسائل.

ب-الخِطاب: وهو ما يلقيه الخطيب على الجمهور، وعادةً ما يكون قد أعدّه وجهزه من قبل.

ج-المخاطب: الشخص أو الاشخاص الذين يتم توجيه الخطاب اليهم.

ألخطابة في العصر الاموي

في العصر الاموي أزدهرت الخطابة وبلغت ذروتها وتنوعن أغراضها بين السياسي والديني والعقلي ،وكان للأحزاب السياسية دور كبير في نهضة الخطابة، حيث كانت سلاحاً في الدعوة

لأحزابهم ومبادئهم ،وكذلك الفتوحات الاسلامية كان لها سبب في تطور الخطابة وظهور المذاهب الكلامية، وظهور الخوارج والشيعة...وأشتهرت بعض الخطب مثل خطبة زياد (البتراء)لعدم أبتدائها بالتحميد ، والخطبة(الشوهاء) لخلوها من الاقتباس من القران الكريم وعدم تضمنها الصلاة على النبي.

من أشهر خطباء العصر الاموي الحجاج بن يوسف الثقفي

خطبته الشهيرة في الكوفة أول ولايته على العراق: يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، والله إن كان أمركم ليهمني قبل أن آتي إليكم ، ولقد كنت ادعوا الله أن يبتليكم بى ، ولقد سقط مني البارحة سوطي الذي أؤدبكم به ، فاتخذ هذا مكانه – وأشار إلى سيفه – ثم قال : والله لآخذن صغيركم بكبيركم ، وحركم بعبدكم ، ثم لأرصعنكم رصع الحداد الحديدة، والخباز العجينة .

أما والله إني لأحمل الشر محمله ، واحذوه بنعله، واجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى. و إني والله يا أهل العراق ما اغمز كتغماز التين، ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فرزت عن ذكاء، وجريت إلى الغاية القصوى .

وإن أمير المؤمنين عبد الملك نشر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرَها عوداً وأصلبها مكسراً، فوجهني إليكم فإنكم طالما أوضعتم في الفتن وسننتم سنن الغي. أما والله لألوَحونكم لحو العود ، ولأعصبنَكم عصب السلمة ، لأضربنَكم ضرب غرائب الإبل . إني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت ، فأيِاي وهذه الجماعات وقيلاً وقال ، وما يقول وفيم أنت ذاك . و الله لتستقيمن على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً في جسده أو لأهبرنَكم بالسيف هبراً

يدع النساء أيامى ، والولدان يتامى ، وحتى تمشوا السُمهى وتقلعوا عن هواها.

ثم اقتبس أبياتاً من ثمامة بن سحيل بن وائل، واشتهر بها، وهي:

أنا ابن جلا وطلاَع الثنايا

متى اضع العمامة تعرفوني

صليب العود من سلفي نزار

كنصل السيف وضَاح الجبين

ومن الخطباء المشهورين في هذا العصر زياد ابن ابيه .وهو من ابرز خطباء الادب القديم .وله خطب كثيرة متفرقة .وقد اثبت الجاحظ في بيانه وابن عبد ربه في عقده بعض شذراته..ولم يصل الينا نها سوى خطبته البتراء التي القاها سنة٤٥ للهجرة عندما ولي البصرة ،وقد تضمنت مفاهيم عديدة ومتنوعة .وهو التاكيد على الفساد الذي كان يسود البصرة ،والتنديد بالمفسدين والعابثين بامن البصرة ووضع الاحكام التي سيتعامل بها مع المفسدين .وحث الناس على الاصلاح .واستخدام السياسة الحازمة ضد المفسدين.

اما اهم الخصائص التي تميزت بها هذه الخطبة فهي:

١-اعتماده على الفكرة المجردة اكثر من اعتماده على الصور المعبرة ،فخياله لم يذهب بعيدا ،بل جاءت صوره تقريرية بسيطة.
٢-استخدام العنف الممنهج من خلال ربط وعيده وترهيبه بشروط معينة ان تحققت رفع هذا الوعيد عنهم .
٣-توظيف الترغيب وما ينطوي عليه من وعود مغرية

٤-اعتماده في الاقناع على الادلة الدينية التي لم تكن عنده اكثر من وسيلة للوصول الى اهدافه الدنيوية
٥-اسلوبه بعيد عن الزخرفة والتكلف والتصنع
٦-لا يلح في استخدام البيان واساليبه ولايجنح الى البديع وسائر المحسنات البلاغية
٧-تحولت الخطابة من اللين في العصر الراشدي الى العنف في العصر الاموي حتى قال حسن البصري
٠اوعد عمر فوفى واوعد زيد فابتلى

الخطابة في العصر العباسي

شهدت الخطابة في مطلع هذا العصر نشاطًا، وخاصة الخطبة السياسية، وذلك لإثبات أحقية بني العباسي في الخلافة، فقد كانت السلاح الأول لبني العباس لتثبيت سلطانهم، وتوطيد أركانها، فكانت الخطابة سلاحهم لبلوغ هدفهم، وكانت الفتوحات سببًا من أسباب إنعاش الخطابة في العصر العباسي، وكانت الخطابة وسيلة لبث روح الجهاد في نفوس المجاهدين، أضف إلى ذلك خطب التهنئة والتي تكون بعد إعتلاء الخليفة الجديد سدة الحكم، فتأتي الوفود وتُهنئ الخليفة، وكانت التهنئة على شكل خطبة يلقيها فصيح القوم بين يدي الخليفة، فقد كان أغلب خلفاء بني العباس من أهل الفصاحة والبيان.

وبعد المئة الأولى من عمر الدولة تنوعت الخطابة في العصر العباسي، رغم، قلة الثورات، وانغماس الناس في حياة الترف، إلّا أن الخطبة الدينية لم تشهد فتورًا أبدًا، وذلك ليس

فقط في العصر العباسي بل على مرِّ العصور الإسلامية وسبب ذلك خطبة الجمعة والعيدين والخطب الوعظية. واهم انواع الخطب في هذا العصر:

١-الخطبة الحفلية :ريرا بها الخطب التي تلقى في المواسم الكبار ،والمحافل العظام ،وفي مجالس الخلفاء والامراء وفي الاندية العامة وقد تعددت مضامينها تبعا للظروف والمناسبات الداعية لهاوتشمل.

أ: خطب الوفود .تلقى هذه الخطب في مجالس الخلفاء والولاة .ولاتخلو هذه الخطب من جمال التعبير وحسن التنسيق الناجم عن الاعداد والتدبيج. واعدادها اعدادا يجنبهم الوقوع في الرتج.واهم اغراضها تنصب حول التهاني ،والثناء ،والشكوى، والاستعطاف،
ب: خطبة النكاح: والفكرة العامة من هذه الخطبة هي اقناع ذوي الفتاة بمن يرغب الاصهار اليهم .ومن اجمل ما وصل الينا في هذا المجال خطبة الخليفة المامون لما اراد ان يزوج ابته للامام علي بن موسى الرضا_ عليه السلام
ج:خطبة التابين :وهذه الخطبة عادة تلقى في المقابر او مجالس العزاء لمواساة ذوي الفقيد بفقيدهم وتصوير الفاجعة التي حلت بذوي الفقيد .والاشادة بفضائل الفقيد وذكر محاسنه .ويجد الخطيب في هذا اللون متنفسا لاثارة عواطف السامعين وترغيبهم على الخير وتنفيرهم من الشر ويلجا الخطيب فيها الى الوعظ والارشاد

٢: الخطبة الدينية، وتشمل على :

ا: خطبة صلاة الجمعة. ويحب ان تستهل بالتمجيد والتحميد .ثم ينتقل على الحث على التقوى والعمل الصالح. والتمسك بطاعة الله . واجتناب نواهيه ثم بعد ذلك ينتقل لموضوع الرئيس الذي يحب التكلم فيه وبعدها يدعو للخليفة وللمسلمين بالخير وان يحفظهم الله ويجنبهم كل مكروه.
ب:خطبة صلاة العيدين: وهي لا تختلف كثيرا بمضمونها عن خطبة الجمعة .

٣:الخطبة السياسية: ازدهرت الخطبة السياسية في اوائل هذا العصر ازدهارا كبيرا بتاثير الاحداث السياسية واشتداد الازمات وتتابعها ولاريب ان هذه الاحداث قد اذكت جذوة الخطابة السياسية وكان لابد لها ان تزدهر ويتعاظم شأنها ويتسع نطاقها
انتزع العباسيون الخلافة من بني امية بحد السيف وقد ادركوا ان استيلاءهم على السلطة بالقوة يعني ان الامور لن تستتب لهم ولن تسير على وفق ما يريدون مادام هناك من يعارض حكمهم ولدعم موقفهم السياسي واثبات حقهم الشرعي في الخلافة بما يوجب لهم الطاعة من الرعية ويضمن لهم عدم الخروج عليهم

أ:بناء الخطبة
_المقدمة.:وهي التمهيد لافكار الخطيب واستثارة انتباه السامعين وترغيبهم في الاستماع واعداد اذهانهم للاقتناع واستجلاب خواطرهم وتاليف قلوبهم حول الخطيب.وتستهل بعبارات التحميد.,تقليدا متتوارثا لخطب الحبيب المصطفى

وقد تخلو اغلب الخطب الحربية والسياسية من المقدمات لان الخطيب يراعي ظرف المقام وما يقتضيه من ايجاز .وكثيرا ماي فتتح خطبته باية من القرآن الكريم تناسب المعنى المراد من الخطبة.وربما افتتح الخطيب خطبته ببيت من الشعر ينسب ويوافق غرض خطبته

_حسن التخلص. هو الخروج والانتقال مما ابتدىء به الكلام إلى الغرض المقصود، برابطة تجمل المعاني آخذاً بعضها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب، إلى مدح، أو غيره، لشدة الالتئام والانسجام. فإذا كان حسناً متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع وأعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس. أما ابن رشيق فسمَّى الانتقال من غرض إلى آخر خروجًا، وطلب فيه التلطف لأبعادٍ نفسية وفنية؛ لأن لطافة الخروج سببُ ارتياح السامع، وشدَّد على ذلك؛ بحيث لا يشعر

ا.

الخاتمة :وهي اخر مايعيه السامع ويبقى في النفس وبها يدرك الخطيب مراده ولها انواع متعددة.

ا أ-استشهاد بالقران الكريم.

ب- الاستغفار.

ج- التمثل بالشعر.

.